هل يعملون لآخرتهم..؟؟

بقلم: **أحمد طلعت المحامى**

الخمسة الباقون على قيد الحياة مما كان يسمى بمجلس قيادة الثورة، عليهم واجب نحو شعبهم - ونحو ضمائرهم - هو واجب التقييم الموضوعي لتلك الحركة العسكرية التى شاركوا فيها فى مطلع شبابهم، وانتهت بالوطن الى ماهو فيه الآن، ونحن نعلم ان معظمهم - ان لم يكن كلهم - قد كتبوا نوعا من المذكرات، أو السيرة الذاتية سواء كان ذلك بقلمهم مباشرة، أو كان رواية على السنتهم بأقلام الآخرين. لكن ماكتبه - أو أملاه - هؤلاء الخمسة، زكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادى وحسين الشافعي وخالد محيي الدين وكمال الدين حسين، لم يكن اكثر من «ثرثرة» عن «بطولاتهم» أيام حكم جمال عبد الناصر، أو «صياحهم» في وجه أنور السادات، فيما عدا مذكرات خالد محيي الدين التى حاول فيها - بإيجاز - ان يلقي الضوء على خلفية تشكيل تنظيم الضباط الاحرار فى محاولة لحسم النزاع بين عبد الناصر والسادات حول دور كل منهما فى قيام هذا التنظيم السرى داخل القوات المسلحة..!! أما واجب هؤلاء الخمسة - أمام الشعب والضمير - الذى نتحدث عنه، فهو واجبهم فى تقييم تجربة يوليو - التى شاركوا فيها - تقييما موضوعيا، من ناحية نجاحها أو فشلها فى تحقيق الاهداف التى اشتركوا فى تلك الحركة من أجل تحقيقها، وبصرف النظر عن سلامة هذه الأهداف فى ذاتها، ولكي نكون منصفين فلابد أن «نفترض» ان الضباط الشبان الذين اشتركوا فى حركة يوليو كانت لهم اهداف وطنية، حتي وإن كانوا لم يحققوا نجاحا في تحقيق هذه الاهداف بسبب للصالح الشخصية، أو قلة الخبرة، أو الاستبداد بالرأى.. أو أية أسباب أخرى.. فالمؤكد ان ضباط انقلاب يوليو لم يكونوا عاقدى العزم - منذ البداية - على تخريب الاقتصاد القومي، أو إهدار الحريات، أو ضرب حركة التقدم والعودة بالبلاد الى الوراء، فمهما كانت النتيجة التى وصلنا اليها - فى عهدهم - فإنه لا يمكننا «انصافا» ان نرجعها الى نية مسبقة للافساد والتخريب، أو قصد عمدى لضرب الحريات وإهدار القيم..!! لذلك قلنا ان الحديث عن «البطولات» فى عهد جمال عبد الناصر أو «الصياح» فى وجه السادات هو حديث لا يكفى لأداء الواجب نحو الشعب وامام الضمير، خصوصا وأن الخمسة الذين نتحدث عنهم قد وصلوا إلى سن تجعل احتمالات غيابهم عن دنيانا واردة - بغير مصادرة على ارادة الله ومشيئته - مما يحتم عليهم ان يعملوا لآخرتهم، ان كان قد فاتهم ان يعملوا لدنياهم، عن قصد أو عن سؤ طالع..!! فالخمسة الباقون كانوا من المشاركين فى حركة يوليو، ثم اصبحوا بعد ذلك من المعارضين لحكم عبد الناصر والسادات، وهم الآن لا يمكن اعتبارهم من المؤيدين لحكم الرئيس حسني مبارك، وإن كانوا لم يجهروا بمعارضتهم له. والانتقال من صفوف «الثوار» الى صفوف المعارضة لابد أن تكون له أسبابه، منها بطبيعة الحال ماكتبوه عن خلافهم مع «شخص» جمال عبد الناصر وشخص السادات، لكن القدر الأهم من هذه الاسباب يرجع بالضرورة الى فشل أو نجاح السياسات التى تبنتها حركة يوليو، والى صدق الحكم على ماكان موجودا قبلها، وماأصبح موجودا بعد نجاحها فى تولى الحكم وفرض أفكارها ومنهجها.

فهل كانت - مثلا - بعض التجاوزات فى تطبيق الدستور واحترام روحه ونصوصه قبل الثورة، مما يمكن مقارنته بالتجاوزات التى جرت بعدها فى ظل دساتير كانت تسمح - بذاتها - بتبرير كل تجاوز بل وتحرض عليه..؟؟ وهل قام قانون الاصلاح الزراعى - مثلا - بالصورة التى وضع بها بإصلاح بعض العيوب التى ظهرت قبل الثورة في الملكية الزراعية، ام كان هذا القانون - الذى اصدرته الثورة - هو العمل الاساسى فى تخريب الانتاج الزراعى والحيوانى، وتجريف الارض الزراعية، واختلال العلاقات بين الملاك والمستأجرين..؟؟ وهل كان «أداء» الجيش المصرى فى حرب ٤٨ بامكانياته المحدودة أفضل أم أسوأ من أدائه في حرب ٦٧..؟؟ وهل كان تأميم الصناعة «عشوائيا» مايتعلق منها بالمملوك للاجانب والمملوك للمصريين على سواء، مما أعطى الصناعة الوليدة فى مصر دفعة الى الأمام، أم عاد بها عشرات السنين الى الوراء..؟؟ وهل كان التوسع «الغوغائي» فى التعليم - مثلا - وسيلة الى تزويد الوطن بما يحتاجه من اصحاب المهن والحرف لاستمرار التقدم الى الامام، أم أن هذا التوسع الغوغائى فى تبنى فكرة «الكم» على حساب «الكيف» اخرج لمصر اعدادا غفيرة من انصاف المتعلمين أو أنصاف الجهلاء..؟؟ وهل كانت سياسة اهل الثقة قبل أهل الخبرة - مثلا - مما ساهم في بناء اقتصاد متين، وتوفير مستوى افضل من المعيشة لجموع المواطنين، أم ان هذه السياسة كانت وراء ظواهر اهدار المال العام، ونقص الانتاج، وخسارة مؤسسات القطاع العام وشركاته التى تبيعها الآن حكومة الحزب الوطنى فى ظل سياسة الخصخصة والانفتاح، تخلصا من ديونها ومن أعبائها..؟؟ وهل كانت المحاكمات الاستثنائية التى رأسها مرة البغدادى ومرة اخرى حسين الشافعي هدفها فعلا محاربة الفساد، ام كان هدفها تشويه الماضى وإرضاء الاخوان..

أسئلة كثيرة يمكن ان يجيب عليها الباقون على قيد الحياة من «ثوار» يوليو، وسوف تكون الاجابة - اذا خلصت النوايا وتيقظت الضمائر - درسا يحتاجه كل شباب هذا الجيل الضائع، والحائر بين اجهزة اعلام لا تمل من تشويه الماضى، وتبرير الحاضر، بكل ماكان فى الماضى من ايجابيات، وبكل مايحمله الحاضر من سلبيات، حتى أصبح تاريخ مصر - أمام شباب هذا الجيل سوادا كله، فانقطع الأمل، وخاب الرجاء، وظهر ماظهر من التطرف والارهاب، وسادت المجتمع جرثومة السلبية واللامبالاة..!! ونحن لا نحاسب احدا على مافات، فالتاريخ وحده كفيل بكل حساب، لكننا فقط نطالب بشيء من الصدق مع شباب هذا الجيل، والاجيال القادمة، اذا كنا نريد حقيقة ان يتحمل الشباب بمسئوليتهم فى بناء المستقبل، أو حتى يشاركوا بنصيب فى هذا البناء.. والخمسة الباقون على قيد الحياة من «ثوار» انقلاب يوليو يستطيعون ان «يكفروا» عما فات بتقييم موضوعي يقدمونه الى الشباب - ليس فيما يتعلق بعلاقة بعضهم بالبعض الآخر - كما فعلوا حتى الآن - ولكن فيما يتعلق بمسئولية حركة يوليو بصفة عامة عن كل ماجرى ومايجرى على ارض مصر، ولتكن هذه هى مساهمتهم الايجابية «الوحيدة» فى بناء المستقبل، بعد ان فاتتهم المساهمة فى تجنب أخطاء الماضى القريب..!!

قولوا شيئا - يرحمكم الله - ولو مرة واحدة من أجل الوطن.